الياس شوفاني

الحاضر الغائب والغائب الحاضر

الحاضر حاضر ، والغائب غائب · هكذا يستقيم منطق الامور · وهذا هو العرف والعادة · حتى ناطور القرية يعرف ذلك ، ويعيه تماما · وهو عندما يعمم على الناس اوامر السلطة ، ينادي عليهم بأعلى صوته : يا اهل البلد : الحاضر يعلم الغائب ··· فهو يميز بين الاثنين ، ويدعو كلا باسمه ، ولا يخلط بينهما · واذا فعل ، فانما لامر في نفسه · اما في اسرائيل ، فالمسائل البسيطة كهذه ، والتي يفهمها ناطور القرية ، لا تقوم على منطق سليم · ولذلك يصعب فهمها ، وتبدو مستهجنة · والفلاحون يقولون : درب القيظ عوجاء · فاسرائيليا، الفلسطيني الغائب غائب بطبيعة الحال · ولكن ، واسرائيليا ايضا ، قد يكون بعض الحاضر غائبا كذلك ، وهذه بدعة · وهي طريفة : فبحسب هؤلاء القوم ، لا يرتبط حضور الفلسطيني وغيابه بجسده ، وانما بارضه · فان احتاجوها ، غاب هو عنها · وان استغنوا عنها ، وهو الشاذ دون القاعدة ، حضر هو عليها · والارض في نظر الاستيطان الصهيوني ، هي العامل الثابت · اما الانسان ، خاصة الفلسطيني ، فهو المتغير · وعليه فبالامكان « تحضيره » او « تغييبه » وفقا لما تقتضيه حاجة ذلك الاستيطان · والاصل في الممارسة الصهيونية ، امتلاك القوة السياسية ، وبالتالي القدرة العسكرية ، لتجسيد ذلك في الواقع · وصاحب السلطة يرسم الحدود ، ويضع القوانين · وباستصداره « قانون املاك الغائبين » ، حول الكيان الصهيوني الاف الفلسطينيين ، ممن آثروا الاحتلال على التشرد ، الى بشر حاضرين باجسادهم، غائبين بحقوقهم · وكنت انا منهم · وكذلك كان بعض اخوتي وامي ، دون البعض الآخر من الاخوة ، ممن كانوا في عداد « الحاضر ـ حاضر » · اما والدي